



تتميز الشخصية عن غيرها من موضوعات علم النفس بتركيزها على التنظيم динاميكي المعقد داخل الفرد (أي بالنظر إليه ككل متكامل)، وعلى الفروق الفردية في الوظائف النفسية (كالدافعية والإدراك والانفعال والتعلم)

الكاتب : د. محمد العامري عدد المشاهدات : 9695 January 4, 2024



الشخصية Personality

جميع الحقوق محفوظة
www.mohammediaameri.com

مقدمة:

لا شك أن الكلمة "الشخصية" سحراً خاصاً لدى العامة، الذين يستخدمونها كثيراً في حياتهم اليومية ويطلقون أحكاماً تقويمية بشأنها، وعندما يتحدث الرجل العادي عن الشخصية، فغالباً ما يشير إلى المهارة الاجتماعية، أي الجاذبية والسرور، الذي يحدّثه الفرد في الآخرين، وقد يقصد بها أقوى الانطباعات التي يخلفها الفرد في الآخرين، لذلك نجده يردد عبارات من مثل "فلان شخصية عدوانية" أو "شخصية متسامحة" أو "شخصية مبدعة" ... إلخ، أي أنه يختار الصفة الأكثر تميزاً فيمن يتم وصفه، ويعنون شخصيته بها.

وتتميز الشخصية عن غيرها من موضوعات علم النفس بتركيزها على التنظيم динاميكي المعقد داخل الفرد (أي بالنظر إليه ككل متكامل)، وعلى الفروق الفردية في الوظائف النفسية (كالدافعية والإدراك والانفعال

والتعلم ...). وفي الوقت ذاته، يسعى علماء نفس الشخصية للتوصل إلى قوانين عامة تنطبق على جميع البشر.

أولاً: مفهوم الشخصية:

ما الذي جعل من صلاح الدين الأيوبي وخالد بن الوليد وطارق بن زياد قادة عظاماً، هل ثمة خصائص شخصية معينة تصف القائد الناجح؟ لقد ربط القرآن الكريم القيادة بخواصيتي العلم والقوة في قوله تعالى (وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أئن يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من العمال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتني ملکه من يشاء والله واسع علیم) (البقرة، 247). ويخلص عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصائص القائد في قوله المشهور “لن يقيم أمر الناس إلا أمره حسيف العقدة، بعيد الغور، لا يطلع الناس منه على عوره، ولا يخاف في الله لومة لأنم”. ويكشف استعراض الخصائص الشخصية للقادة في تاريخنا الإسلامي عن اشتراكهم في عدد من الخصائص لعل أبرزها التالية: الذكاء والفهم، التعلم، القدرة على اتخاذ القرار، التقوى،

الحلم والاتزان، القدرة على التأثير والإقناع، التواضع، التسامح، الأمانة، الصبر، الصدق، والشجاعة.

شخصية القائد مهمة، ولكن ماذا عن شخصيتك أنت؟ فكر في خصائصك الشخصية وسجل سبع خصائص تصفك أكثر ما يمكن، هل يصفك الآخرون بأنك مؤثر مقنع، خجول، واثق من نفسك، متعدد، متسامح، عنيف، ذكي ...؟ هل تشارك مع جميع البشر في بعض الخصائص؟ هل تشبه مجموعة معينة من البشر في خصائص أخرى؟ هل لك نمط خاص يميز طريقتك في التفكير والسلوك والتعبير عن العواطف؟ هل يتغير هذا النمط من يوم إلى آخر ومن موقف إلى آخر، أم أنه يتسم بالثبات النسبي؟

عندما يفكر الرجل العادي في الشخصية، فغالباً ما يتوجه تفكيره نحوه التأثير الذي يحدّثه الفرد في الآخرين، لذلك نجده يعني بأمور من شأنها أن يجعل منه شخصية مؤثرة اجتماعياً، وقدرة على كسب الصداقات، ولكن كيف يفكر عالم النفس في الشخصية؟

اختلف علماء النفس حول تحديد مفهوم الشخصية: فالشخصية عند روجرز Rogers تعني الذات، أي الكيان الموضوعي المنظم، المستقر نسبياً، الذي يمكن إدراكه والذي يعد قلب الخبرة، أما البورت Allport فيعرف الشخصية على أنها حقيقة الفرد الداخلية التي تحدد طريقة الفرد في الانتفاع من الخبرة الحياتية، في حين يرى إريكسون Erickson أن الفرد يمر خلال مسيرة حياته بسلسلة من الأزمات النفسية، بحيث تكون الشخصية وظيفة لتواجدها، فيما يرى باندورا Bandura الشخصية على أنها نمط معقد من التفاعل المستمر بين الفرد والسلوك والبيئة (Hjelle & Ziegler, 1992)، هذا ويمكن القول بوجود (150) منظراً في الشخصية، كل له تعريفه الخاص لها.

وقد يعزى تعدد تعريفات الشخصية إلى الاختلاف حول الإطار المرجعي النظري الذي ينظر من خلاله إلى الطبيعة الإنسانية، وعلى الرغم من ذلك، فثمة قواسم مشتركة في النظرة إلى مفهوم الشخصية مؤخراً: فيعرف مايرز (Myers, 2004) الشخصية على أنها النمط المتسق الذي يميز الأفكار والمشاعر والسلوكيات. ويعرفها سانتروك (Santrock, 2003) على أنها الأفكار والمشاعر والسلوكيات الدائمة نسبياً التي تميز الطريقة التي يتكيّف بها الفرد مع البيئة، كما يعرفها كوزلين وروزنبرج (Kosslyn & Rosenberg, 2004) بأنها مجموعة متسقة من الخصائص السلوكية التي يظهرها الفرد في المواقف المختلفة وفي الأوقات المختلفة، والتي تميّزه عن غيره من البشر.

الشخصية: نمط متسق يميز الأفكار والمشاعر والسلوك التي يتميز بها الفرد مع البيئة.

وهكذا يمكن القول بأن النظرة الحديثة لمفهوم الشخصية تشير إلى النمط الدائم نسبياً للأفكار والمشاعر والسلوك، الذي يميز الفرد عن غيره، وتتضمن هذه النظرة أمرين هامين هما: (1) أن لكل فرد نمطاً خاصاً من التفكير والمشاعر والسلوك يميشه عن غيره، (2) أن الشخصية ثابتة نسبياً خلال الزمن، فشخصياتنا لا تتسم بالثبات الكلي (Davis & Palladino, 2004) الذي يسمح بتعديل السلوك وتزكيته النفس.

وثمة من يجادل بفكرة الثبات النسبي ومنهم والتر ميشيل Walter Mischel الذي يرى أن السلوك تحدده المواقف لا السمات الداخلية للمرء، فقد يختلف سلوكك كثيراً عندما تكون مع زملائك في الجامعة عنه عندما تكون مع إخوتك في البيت، إلى الحد الذي يصعب فيه القول بأنك الشخص نفسه في الموقفين. ويؤكد الموقفيون، عموماً بأننا نخلق مواقفنا في كثير من الأحيان، ليس بالضرورة من خلال سلوكياتنا، بل ببساطة لمجرد من نكون، وبعبارة أخرى، فإن بعض الخصائص الشخصية (العمر والجنس والعرق والدين والوضع الاقتصادي والاجتماعي) يمكن أن تحدد سلوك الآخرين تجاهنا، مما يخلق موقفاً مختلفاً، يمكن أن يؤدي بدوره إلى فروق في السلوك (Davis & Palladino, 2004)، وهناك من يرى أن السمات والمواصفات والتفاعل بينها تؤثر في الأفكار والمشاعر والسلوك (Kosslyn & Rosenberg, 2004). هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وهناك من يؤيد اتساق السلوك عبر المواقف المختلفة وبمرور الزمن، ومنهم بم وأن (Ebm & Allen): فالطفل الهدائى يبقى هادئاً عبر المواقف، لذلك نجد أن الوالدين يصابان بالصدمة عندما يعلمان أن ابنهما الهدائى يظهر سلوك الشغب في المدرسة، فيردون بعبارات من مثل "هذا غير معقول، فإننا لا نظهر قط سلوكاً كهذا في البيت" وهم صادقون في قولهم، لأن ابنهم لا يظهر سلوك الشغب في البيت (Davis & Palladino, 2004).

وخلال القول فإن السلوك يعتمد على الموقف من جهة، ومع ذلك هناك ميل لثبات السلوك واتساقه خلال المواقف المختلفة، يجعل من الممكن التنبؤ بالسلوك في المواقف المماثلة، كما أن هناك ثباتاً في الميل والدراواع والاتجاهات والقيم وهوية الشخصية ... إلخ، غير أن ثبات الشخصية لا يعني سكونها الأبدي، بل الثبات النسبي الذي يحتوي التغير والتطور وتزكيته النفس أو ارتدادها.

نشاط (١)

- ما المقصود بالشخصية؟
- ما مظاهر الشخصية التي تعتقد أنها ثابتة وما المظاهر التي ترى إمكانية حدوث تغير عليها بتغير الموقف أو بمرور الزمن؟
- هل ترى أن شخصيتك، عموماً، تتسم بالثبات أم بالتغير؟ قدم أمثلة توضح ما تذهب إليه.

ثانياً: المناخي الرئيس في دراسة الشخصية:

يعني منظرو الشخصية بالسؤال التالي: لماذا يستجيب الأفراد لموقف واحد بطرق مختلفة؟ ويقدمون إجابات مختلفة له. فعلى سبيل المثال، لماذا تكون ساجدة اجتماعية عند مقابلة شخص ما لأول مرة، فيما تكون عليه خجولة في الموقف ذاته؟ لماذا تكون سناء مطمئنة على نتيجتها في امتحان الثانوية العامة، في حين

تكون رانية قلقة على نتائجها في الامتحان ذاته؟ يعتقد بعض منظري الشخصية أن العوامل الجينية والبيولوجية هي المسؤولة عن الفروق الفردية في الشخصية، فيما يعتقد آخرون أن الخبرات الحياتية هي العوامل الأكثر أهمية.

كما يرى بعض منظري الشخصية أن الطريقة التي نفكر بها هي بمثابة المفتاح لفهم الشخصية، في حين يرى آخرون أن فهم الشخصية لا يتم إلا بمعرفة الطريقة التي تصرف بها إزاء بعضاً، وفي ضوء تعدد النظرة إلى مفهوم الشخصية، تعددت نظريات الشخصية. وعليه، يكون من المفيد تطبيق هذه النظريات في منحى (أي توجهات) عامة، رغم الفروق بين النظريات داخل المنحى الواحد، كذلك فقد يتم تطبيق بعض النظريات في أكثر من منحى. ورغم ذلك، فإن التصنيف يقدم للقارئ صورة عامة عن الإطار العام لتوجهات نظريات الشخصية.

هذا وسنعرض فيما يلي خمسة مناج رئيسة لدراسة الشخصية هي: المنحى الإسلامي، والمنحى السيكودينامي، والمنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي، والمنحى الإنساني، ومنحى السمات.

1- المنحى الإسلامي:

جاء في القرآن الكريم وصف للنفس (وهو المصطلح الذي يرادف الشخصية في علم النفس الحديث) الإنسانية يشير إلى المكونين المادي والروحي، فالنفس الإنسانية، بعد خلق آدم وحواء، تكون من ماء، يتحول إلى نطفة ثم علقة ثم إلى مضفة، ثم تكتسي المضفة عظاماً، فلهما، مكونة بذلك الجانب المادي للشخصية، ثم تنفس فيه الروح فينشأ خلقاً آخر، مصداقاً لقوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضفة فخلقنا المضفة عظاماً فكسونا العظام لهما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (المؤمنون، ١٢-١٤). غير أن هذين المكونين ليسا كيانين مستقلين عن بعضهما البعض، بل متفاعلين معاً ليشكلا وحدة متكاملة، تمثل الكيان الكلي للنفس (الشخصية)، فالمكون المادي يؤثر في المكون الروحي ويتأثر به، وكذا الحال بالنسبة إلى المكون الروحي، كما أكد الإسلام ضرورة الاعتدال والتوازن في إشباع كل من المكونين بحيث لا يطفى أحدهما على الآخر، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال، ففي الوقت الذي يدعو إلى إشباع الدوافع المادية والروحية، فإنه لا يسمح بإشباعها دون قيد أو ضابط، لذا فإن حالة الصراع في الشخصية تقتضي تنظيم إشباع الدوافع وردها إلى الاعتدال. وبدون هذه

النظرة الديناميكية لبناء الشخصية (بمكونيها المادي والروحي)، يبقى فهم الشخصية مبتوراً وعاجزاً عن تفسير جميع أشكال السلوك الإنساني، الذي يتسم بالتعقيد، وعن سبر حقيقته وأعمقها، فالسلوك الإنساني محصلة التفاعل بين المكونين المادي والروحي للشخصية ولا يفهم إلا في ضوئها معاً.

مصطلاح النفس في القرآن الكريم مرادف لمصطلح الشخصية في علم النفس الحديث.
ت تكون النفس من مكون مادي ومكون روحي يشكلان وحدة متكاملة.

وتتحدد الشخصية بعاملين الوراثة والبيئة، ويوضح دور الوراثة في قوله تعالى: "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أم شاج ..." (الإنسان، ٢) أي من ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطوا، كما بين رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم دور الوراثة في قصة الزوج الذي اتهم زوجته وشك في أبوته للفلام الأسود الذي ولد له، ذلك أن

الغلام لا يشبهه ولا يشبه أمه، ولا يوجد له شبه في أخواله أو أجداده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا هذا إنه ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً كلها تضرب في النسب فإذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الله الشبيه لها، وهذا من تلك العروق التي لم تدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك ... خذ إلينك ابنك" (أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب إذا عرض في نفي الولد). وللبينة دور هام في تحديد الشخصية، فالوالدان قد يصرحان الطفل عن الفطرة القويمية التي فطر عليها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (رواوه مسلم ¹ كتاب القدر ² باب معنى كل مولود).

تتعدد أنماط الشخصية بتفاعل عاطلي الوراثة.

وينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه خير بطبعه، عقلاني، مكرم، سجدة له الملائكة، وسخر الله تعالى له ما في الكون لخدمته، لتمكينه من أداء رسالته في الحياة من عمارة وخلافة لتحقيق الغاية من وجوده وهي عبادة الله سبحانه، قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات، 56)، وهو مخلوق على الفطرة القويمية، قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله" (الروم، 30). عليه، فقد ساوى الله تعالى بين الخلق كلهم في الفطرة، فلا تفاوت بين الناس في ذلك، هذا وقد أوقع الله سبحانه وتعالى في النفس طريقي التقوى والفحور، مصداقاً لقوله تعالى: "فالهمها فجورها وتقوتها" (الشمس، 8). وهداها بالفطرة إلى التمييز بين الطريقتين، فإذا بقيت على أصل الفطرة، فإنها لا تأمر إلا بالخير. أما إذا انحرفت عن هذا الأصل فإنها تأمر بالفحور، وللنفس ثلاثة أحوال هي: النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة، وفيما يلي توضيح لكل منها على حدة (التل، 2004):

1- النفس الأمارة بالسوء الواردة في قوله تعالى: "إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربها" (يوسف، 53). وتصف حال النفس التي تنحرف عن الفضيلة وتنساق وراء الشهوات والغرائز الحيوانية، فتدعوا صاحبها إلى ارتكاب المعصية إلا من ثبتها الله وأعانها، وقد امتحن الله سبحانه وتعالى الإنسان بالنفس الأمارة بالسوء، فالشيطان قرينه: يقذف فيها الباطل ويزينها لها ويمنيها، وهي التي تستجيب وتنفذ.

2- النفس اللوامة الواردة في قوله تعالى "ولا أقسم بالنفس اللوامة" (القيامة، 2)، وقد اختلف المفسرون فيها: فمنهم من رأى أنها تصف حال النفس المتعددة المتقلبة التي تنب وتجفو، وتنقي وتنفجر ... ومنهم من رأى أنها تصف حال المؤمن وتصف نفسه، ومنهم من رأى أنها نفس المؤمن توقعه في الشر ثم تلومه عليه، وهذا اللوم دليل الإيمان، ومنهم من رأى أنها نفس السعيد تلوم صاحبها على ارتكاب الذنب ونفس الشقي تلوم صاحبها على فوات حظها، ومنهم من رأى أن اللوم يكون يوم القيمة عندما تلوم النفس صاحبها على الذنب إن كان مذنياً، وعلى التقصير إن كان محسناً.

3- النفس المطمئنة الواردة في قوله تعالى: "يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعني إلى ربك راضية مرضية * فادخلني في عبادي * وادخلني جنتي (الفجر، 27 ³ 30)، وفي حال النفس المنية المختيبة التي أيقنت أن الله ربها فأطاعت أوامره فاطمأنت إلى عبوديته ومحبته وإلى لقائه ووعده، لذلك تشعر بالسعادة في الدنيا (عن الدين الذي اختارته) وعن السلوك الذي انتهجته فاطمأنت ل نتيجته في الدنيا والآخرة.

هذا ومن الجدير بالذكر أن أحوال النفس الإنسانية تتفاوت في مقاصدها ونياتها وأفعالها، والنفس تتقلب من حال إلى حال، ولكنها نفس واحدة؛ تكون أهارة تارة ولوامة أخرى ومطمئنة ثالثة.

ويصف ابن القيم في كتابه "الروح" الصراع بين حالي النفس (الأهارة بالسوء والمطمئنة) بصورة ديناميكية بقوله: "وقد انتصب الأمارة في مقابل المطمئنة، فكلما جاءت به تلك من خير ظاهرتها هذه وجاءت من الشر بما يقابلها حتى تفسده عليها، فإذا جاءت بالإيمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدر في الإيمان من الشك والنفاق وما يقدر في التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ... فتقوم الحرب بين هاتين النفسيين، والمنصور من نصره الله، وهذا حال أكثر هذا الخلق" (ابن قيم الجوزية، 1986، ص 308-309).

ويؤكد الإسلام تفاعل النفس الإنسانية (بما فيها من دوافع) مع البيئة (بما فيها من زينة لتشكيل أنماط الشخصية). فقد أودع الله سبحانه في النساء والمال والبنين شهوات حبها إلى النفس وزينها لها، قال تعالى: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" (آل عمران، 14). كما أودع الله سبحانه في النفس البشرية دوافع فسيولوجية وروحية ونفسية واجتماعية لابد من إشباعها، ولو جزئياً، لاستمرار حياة الفرد ولحفظ النوع من الانقراض، كما ألمّ الله سبحانه النفس طريفي التقوى والفحور، ومنحها حرية الاختيار ويترب على اختيارها، عند تفاعಲها مع البيئة، مجموعة من السلوکات تحدد نمط الشخصية، وقد اقتضت المشيئة الإلهية أن يكون الطريق الذي تختره النفس في حل الصراع بين المكون المادي (رغبة النفس وأهواؤها) والمكون الروحي (الامتثال بأوامر الله) هو الابتلاء الحقيقي لها في الحياة، فعليها التوفيق بين طاعة الله والانتفاع بزينة الحياة الدنيا، وعليه: فإن اختارت النفس طريق التقوى، فإنها تتجه نحو العمل الصالح الذي يقود إلى شكر النعمة وتزكيه النفس وتعظيم الإيمان، وهذا هو حال المؤمن النموذج، فيما ينطوي اختيار طريق الفحور على التوجه نحو العمل السوء الذي يقود إلى كفر النعمة وتعظيم المتعة، وهذا هو حال الكافر النموذج، أما المسلم الواقع فينطوي سلوكه على تعاقب ذاتي الإيمان والمتعة، نتيجة أعماله الصالحة أحياناً والسيئة أحياناً أخرى.

هذا وقد أشار القرآن الكريم إلى فشل البشر عموماً في التوفيق بين المكونين المادي والروحي؛ فعظموا المتعة وكفروا بالنعمة، قال تعالى: "وقليل من عبادي الشكور" (سبأ، 13)، وقال سبحانه: "ولكن أكثر الناس لا يشكرون" (يوسف، 38)، وتبقى القلة من البشر الذين اتقوا فأثروا الحياة الآخرة ولم ينسوا نصيبهم من الدنيا. وقد صنف القرآن الكريم البشر إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون والكافرون والمنافقون، ولكل نمط سماته التي تميزه عن النمطين الآخرين، وتوجه سلوكه. وقد أفرد لكل نمط منهم سورة خاصة هي: سورة "المؤمنون"، وسورة "المنافقون"، وسورة "الكافرون". وقد توصل نجاتي (1987) إلى

وجود تسعة مجموعات من السمات تميز الأنماط الثلاث للبشر هي: سمات تتعلق بالعقيدة (كالإيمان بالله)، وسمات تتعلق بالعبادات (كأداء الفرائض) وسمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية (التعاون) وسمات عقلية معرفية (كطلب العلم) وسمات تتعلق بالعلاقات الأسرية (كبر الوالدين) وسمات خلقية (الصبر) وسمات عاطفية انجعالية (حب الخير للناس) وسمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية (كالإخلاص في العمل) وسمات بدنية (كالطهارة)، ويمكن القول بأن السمات التي تتعلق بالعقيدة تعد سمات حاسمة في توجيه السلوك الإنساني.

- ما محددات السلوك في الإسلام؟
- لخص المنحى الإسلامي في الشخصية.

2- المنحى السيكودينامي Psychodynamic Perspective:

يرى أصحاب هذا المنحى أن الشخصية، في معظمها لا شعورية، وأنها تتطور عبر مراحل، كما يؤكدون أهمية الخبرات المبكرة (خبرات الطفولة) في تشكيل شخصية الفرد. ويعتقدون أننا إذا أردنا أن نفهم شخصية المرء بصورة حقيقة، علينا أن نكتشف الدلالات الرمزية لسلوكه، وسبر أعمق شخصيته من الداخل، ولا نقتصر على دراسة سلوكه الظاهري. هذا وسنعرض تحت هذا المنحى نظرية التحليل النفسي عند فرويد ونظريات "الفرويديين المتجددين" (أي ما وراء فرويد) ومنهم يونج وآدلر وهورني.

أ. نظرية التحليل النفسي عند فرويد Freud's Psychoanalytic Theory:

طور سigmوند فرويد أفكاره حول نظرية التحليل النفسي من خلاله عمله مع المرضى العصابيين، فهو يرى أن اللاشعور هو مفتاح فهم الشخصية، فحياتنا تزخر بالضغوط والصراعات، وللحذر منها فإننا نضع الخبرات المؤلمة والمزعجة في اللاشعور، وقد تكشف هذه الخبرات على شكل هفوات اللسان أو زلاته، وقد تظهر في الأحلام ... والأحلام، عند فرويد، تمثيل للاشعوري للصراع والضغط الحياتية التي يكون من المؤلم التعامل معها بصورة شعورية، والأحلام هامة لأنها تحمل دلالات رمزية، جنسية أو عدوانية، وتحتل الغريرة الجنسية مكان الصدارة من حيث تأثيرها على السلوك اللاحق.

شبه فرويد الشخصية بجبل الثلج، بحيث يقع معظمها تحت مستوى الشعور، تماماً، كما أن الجزء الأكبر من جبل الثلج يقع تحت مستوى سطح الماء، كما يتضح في الشكل رقم (1:1). تتكون الشخصية من ثلاثة مكونات (أبنية) هي: الهو (Id) والأنا (Ego) والأنا الأعلى (Superego). يتكون الهو من الفرائز (الجنس والعدوان) وهي مصدر الطاقة النفسية، وهو لا شعوري، ولا يتصل بالواقع، وهو أول مكون ينمو في الشخصية، يعمل الهو وفق مبدأ اللذة وتجنب الألم، وعندما يدرك الأطفال متطلبات الواقع والمعيقات التي تحول دون إشباع اللذة، يتشكل المكون الآخر للشخصية (وهو الأنا)، يتعلق الأنا بمتطلبات الواقع ويعمل وفقاً لمبدأ الواقع، فهو يحاول أن يجلب اللذة للمرء وفق معايير المجتمع.

اللاشعور هو مفتاح فهم الشخصية.

الميكانزمات هي استراتيجيات حل الصراع والحد من القلق.

وبخلاف الهو الذي يقع كلياً في اللاشعور، فإن الأنا يكون شعورياً بصورة جزئية، وهو المكون النفسي للشخصية والجهاز التنفيذي لها الذي يتخذ القرارات العقلانية، ويؤدي الوظائف العقلية العليا. أما المكون الثالث للشخصية فهو الأنا الأعلى، وهو المكون الأخلاقي لها، ويضم الأنا المثالية والضمير، ويعمل الأنا الأعلى على كبح دوافع الهو، الأمر الذي يقتضي أن توفق الأنا بين دوافع الهو ومتطلبات الأنا الأعلى وحل الصراعات بينهما. وقد تعجز الأنا عن حل الصراع، فتستدعي عدداً من الاستراتيجيات التي تسمى ميكانزمات الدفاع (Defence Mechanism) (الحيل الدفاعية) لحل الصراع والحد من القلق عن طريق التشويه اللاشعوري للواقع.

الكبت (Representation): أكثر الحيل الدفاعية انتشاراً وفعالية، ويعمل على دفع الأفكار والرغبات غير المقبولة إلى اللاشعور، ومن أمثلته كبت مشاعر العدوان في مجتمع يعeme الأمان والسلام.

التبرير (Rationalization): يحدث عندما يكون الدافع الأصلي للسلوك غير مقبول فتعمـل الأنـا على تغطـيـته بـدـافـعـ أـكـثـرـ قـبـولاـ.

ومن أمثلة عندما لا يقبل الطالب في التخصص الذي يرغب بدراسته في الجامعة، يبرر عدم قبوله بالقول بأنه لو بذل جهداً أكبر لتم قبوله في التخصص المرغوب.

الإبعـالـ (Displacement): ويعـنيـ إـزـاحـةـ المشـاعـرـ غـيرـ المـقـبـولـةـ منـ المـوـضـوعـ الأـصـلـيـ إـلـىـ مـوـضـوعـ آـخـرـ أـكـثـرـ قـبـولاـ.

مـثالـ ذـلـكـ الموـظـفـ الذـيـ لاـ يـسـتـطـيـعـ أنـ يـوـجـهـ مشـاعـرـ الغـضـبـ نحوـ أـبـنـائـهـ.

التـسامـيـ (Sublimation): وفيـهـ تـسـبـدـ الدـفـعـاتـ الفـريـزـيـةـ غـيرـ المـقـبـولـةـ بـأـعـمـالـ خـلاـقـةـ اـجـتـمـاعـيـاـ.

مـثالـ ذـلـكـ الطـبـيبـ الجـراحـ الذـيـ يـحـولـ الدـفـعـاتـ العـدـوـانـيـةـ إـلـىـ غـايـاتـ مـفـيـدةـ وـبـنـاءـ منـ خـلـالـ إـجـراءـ الـعـمـلـيـاتـ الـجـراـحـيـةـ.

الـإـسـقـاطـ (Projection): ويعـنيـ أـنـ يـسـقطـ المـرـءـ ماـ بـدـاخـلـهـ، أيـ أـنـ يـعـزـوـ نـقـائـصـ السـخـصـيـةـ وـمـشـكـلـاتـهـ وـأـخـطـائـهـ إـلـىـ الـآـخـرـينـ.

مـثالـ ذـلـكـ الشـخـصـ الذـيـ يـحـملـ العـدـوـانـيـةـ فـيـ دـاخـلـهـ، يـرـىـ الـآـخـرـينـ عـلـىـ أـنـهـ عـدـوـانـيـونـ.

تـكـوـينـ رـدـ الفـعـلـ المـعـاـكـسـ (Reaction Information): ويعـنيـ إـبـدـالـ مشـاعـرـ مـثـيـرـةـ لـلـقـلـقـ فـيـ الشـعـورـ بـنـقـيـضـهاـ، كـأنـ تـبـدـلـ مشـاعـرـ

الـكـراـهـيـةـ بـالـحـبـ، وـالـدـفـعـاتـ العـدـوـانـيـةـ بـالـدـعـوـةـ إـلـىـ السـلـامـ.

الـإـنـكـارـ (Denial): ويعـنيـ رـفـضـ أـنـاـ الـاعـتـرـافـ بـالـوـاقـعـ الذـيـ يـؤـدـيـ إـلـىـ الـقـلـقـ.

مـثالـ ذـلـكـ الرـجـلـ الذـيـ لاـ يـعـتـرـفـ بـأـنـهـ مـرـيـضـ بـالـسـرـطـانـ.

عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـ فـرـيقـ الـأـطـبـاءـ شـخـصـواـ المـرـضـ لـدـيهـ.

الـنـكـوـصـ (Regression): ويعـدـ عـنـدـمـ يـسـلـكـ المـرـءـ بـطـرـيـقـةـ تـخـصـ مـرـحـلـةـ نـعـائـيـةـ سـابـقـةـ، فـيـ حـالـ وـجـودـ التـهـديـدـ.

مـثالـ ذـلـكـ عـوـدـةـ

الـمـرـأـةـ إـلـىـ أـمـهـاـ وـبـكـاءـ عـلـىـ كـتـفـهـاـ كـلـمـاـ تـشـاجـرـتـ مـعـ زـوـجـهـاـ.

هـذـاـ وـيـرـىـ فـرـويـدـ أـنـ السـخـصـيـةـ تـتـطـوـرـ اـسـتـجـابـةـ لـأـرـبـعـةـ مـصـادـرـ رـئـيـسـةـ لـلـتـوـتـرـ هـيـ: عـمـلـيـاتـ النـمـوـ الـفـسيـولـوـجـيـ

وـالـإـبـاطـاتـ وـالـصـرـاعـاتـ وـالـتـهـديـدـاتـ، فـيـتـعـلـمـ الـفـرـدـ أـسـالـيـبـ جـدـيـدةـ لـخـفـضـ التـوـتـرـ هـيـ: الـكـبـتـ وـالـتـمـثـلـ، كـمـاـ يـعـتـقـدـ

بـأـنـاـ نـمـرـ بـخـمـسـ مـرـاحـلـ لـتـطـوـرـ السـخـصـيـةـ، تـعـدـ المـراـحلـ الـأـوـلـىـ حـاسـمـةـ فـيـ تـشـكـيلـ السـخـصـيـةـ، وـفـيـ كـلـ مـرـحـلـةـ

مـنـهـاـ نـخـبـ الـلـذـةـ فـيـ وـاحـدـ مـنـ أـجـزـاءـ الـجـسـمـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـ، وـأـنـ شـخـصـيـةـ الـرـاشـدـ تـعـتـمـدـ عـلـىـ طـرـيـقـةـ الـتـيـ يـحلـ

بـهـاـ الـصـرـاعـاتـ بـيـنـ مـصـادـرـ الـلـذـةـ وـمـتـطلـبـاتـ الـوـاقـعـ.

مراحل النمو الجنسي: الفمية الشرجية، القضيبية الكمون، والتناسلية.

1. المرحلة الفمية (Oral Stage) (الولادة ٠ ١٨ شهر): وفيـماـ تـتـمـرـكـ لـذـةـ الرـضـيـعـ عـلـىـ الفـمـ، فـيـكـونـ المـضـغـ
- والـمـصـ والعـضـ مـصـادـرـ رـئـيـسـةـ لـجـلـبـ الـلـذـةـ وـخـفـضـ التـوـتـرـ.
2. المرحلة الشرجية: (Anal Stage) (١٦ ٠ ١٦ شهر): وهـنـاـ يـتـمـرـكـ المـصـدرـ الرـئـيـسـ لـذـةـ حولـ الشـرـجـ وـالـوـظـائـفـ ذاتـ
- الـعـلـاقـةـ بـهـ.
3. المرحلة القضيبية (Phallic Stage) (٣ ٠ ٦ سنوات): وهـنـاـ تـتـجـهـ الـلـذـةـ نـحـوـ الـأـعـضـاءـ التـنـاسـلـيـةـ لـلـفـرـدـ نـفـسـهـ،
- ولـهـذـهـ المـرـحـلـةـ أـهـمـيـةـ خـاصـةـ فـيـ تـطـوـرـ السـخـصـيـةـ عـنـدـ فـرـويـدـ، لـأـنـ الـطـفـلـ يـمـرـ بـعـقـدـةـ أـوـدـيـبـ Oedipus Complex (مشـتـقةـ مـنـ الـأـسـطـوـرـةـ الـيـونـانـيـةـ الـتـيـ تـتـحدـثـ عـنـ قـتـلـ أـوـدـيـبـ عـلـىـ غـيرـ درـاـيـةـ وـالـدـهـ وـالـزـوـاجـ مـنـ أـمـهـ). تـشـيرـ عـقـدـةـ أـوـدـيـبـ إـلـىـ تـطـوـرـ الرـغـبةـ الدـاخـلـيـةـ لـدـىـ الـطـفـلـ لـأـخـذـ دـورـ وـالـدـهـ بـالـاستـمـاعـ الـعـاطـفـيـ معـ أـمـهـ. وـيـرـىـ سـانـتـرـوكـ أـنـ الـمـحـتـمـلـ أـنـ تـكـوـنـ فـكـرـةـ عـقـدـةـ أـوـدـيـبـ مـشـتـقةـ مـنـ التـعـلـقـ جـنـسـيـ لـفـرـويـدـ بـأـمـهـ الـتـيـ كـانـتـ جـمـيـلةـ وـتـصـفـرـ وـالـدـهـ بـعـشـرـيـنـ عـامـاـ (Santrock 2003).
4. مرحلة الكمون (Latency Stage) (6 ٠ البلوغ): وـفـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ يـكـبـتـ الـطـفـلـ رـغـبـاتـهـ جـنـسـيـةـ.

ويتطور مهارات اجتماعية ومعرفية تعينه على نسيان المصراع الذي كان يمر به في المرحلة السابقة.

5. المرحلة التناسلية (Gential Stage) (البلوغ وما بعده): وهي مرحلة يقظة جنسية مرة أخرى، غير أن مصدر اللذة الجنسية يكون شخصاً آخر.

ب. الفرويديون المتجددون:

واجهت نظرية التحليل النفسي الفرويدي العديد من الانتقادات التي دارت حول نسبة الرغبات الجنسية للطفل والمتبالغة في دور كل من اللاشعور وخبرات الطفولة في تشكيل الشخصية وعاليمنية عقدة أوديب، لذلك بُرِزَ منظرون من أمثال: يونج وآدلر وهورني وغيرهم ممن رأى أن السلوك الإنساني يتاثر بالعوامل الاجتماعية والحضارية، بالإضافة إلى العوامل البيولوجية.

السلوك الإنساني يتاثر بالعوامل الاجتماعية والحضارية إضافة إلى العوامل البيولوجية

1. النظرية التحليلية عند يونج:

يرى يونج (Wong) أن النفس (المصطلح الذي يستخدمه للتعبير عن الشخصية) تتكون من ثلاثة أبنية منفصلة ومتقابلة هي: الأنا (مركز العقل الشعوري) واللاشعور الشخصي (ويضم الخبرات المكتسبة التي تخص الشخص بذاته واللاشعور الجماعي (Hjelle & Ziegler, 1992) ويرى أن فرويد قلل من دور العقل اللاشعوري في الشخصية، لذلك طور يونج مفهوم اللاشعور الجماعي، وهو الطبقة الأعمق، غير الشخصية من العقل اللاشعوري، التي تضم الخبرات والذكريات الكامنة التي ورثها الإنسان عن ماضي الأسلاف والأجداد، والتي يشترك فيها جميع البشر نظراً لتشابه بناء العقل بينهم.

يطلق يونج على المكونات البنائية لللاشعور الجماعي (Collective unconscious) اسم "الأنماط الأولية" وهي أشكال فكرية مشاع مشحونة بالانفعال، تخلق صوراً لها معانٍ رمزية غنية لدى جميع البشر، تسهم في مساعدتهم على فهم أنفسهم وعلى فهم الآخرين. ومن أمثلتها النمط الأولي للبطل والأم والحكيم. فوجود نمط أولي مثلاً لدى الطفل يسهم في كيفية إدراك الطفل لأمه، وقد تطورت الأنماط بحيث أصبحت أنظمة منفصلة هي: الأنينا (Anima) والأنيموس (Animus) والقناع والظل (Shadow) وتشير الأنينا إلى النمط الأولي الأنثوي عند الرجل، أما الأنيموس فتشير إلى النمط الأولي الذكري عند المرأة.

اللاشعور الجماعي في مقابل اللاشعور الفردي.

وبفضل هذين النمطين الأوليين يتفهم أفراد أحد الجنسين طبيعة الجنس الآخر، وهناك نمط أولي آخر هو الظل، ويمثل الجانب المظلم اللا أخلاقي من الشخصية وهو المسؤول عن مفهوم الخطيئة الأولى (من وجهة نظر يونج). أما القناع فيشير إلى الشخصية العامة، كما يراها الآخرون، فالمرء يرتدي قناعاً ليلعب الدور الذي يناسبه له المجتمع ويتوقه منه في الحياة.

2. علم النفس الفردي عند آدلر

يرى آدلر (Adler) أن الأهداف النهائية الغائبة هي التي تدفع البشر لبذل الجهد، وهي التي تحدد سلوكاتهم ... ولكن ما هي الغاية النهائية التي يندفع البشر إلى بلوغها، يرى آدلر أنها التفوق (Superiority) فنحن نكافح من أجل التفوق، ويمثل الكفاح من أجل التفوق استجابتنا لمشاعر النقص التي نخبرها جميعاً منذ أن كنا أطفالاً نتفاعل مع آخرين يكبروننا سنًا ويتفوقون علينا في القوة، وكثيراً ما نحاول تعويض مشاعر النقص العضوية أو النفسية (Inferiority) من خلال التدريب العميق، أو تطوير القدرات في مجال آخر. فقد عوض ديموستين الذي كان يتلهم في طفولته، عند نقصه العضوي، بالتدريب حتى أصبح واحداً من أبرز خطباء العالم، وقد يعوض الطالب متوسط التحصيل عن مشاعر النقص لديه بالتفوق الرياضي. وقد تحدث آدلر عن التعويض الزائد (Over Compensation) وهو محاولة المرء إنكار الموقف الحقيقى (بدلاً من الاعتراف به) أو هو الجهد المبالغ فيه للتعويض عن النقص. وقد وصف نمطين للتعويض الزائد هما: عقدة النقص (وتشير إلى المبالغة في مشاعر النقص وعدم الكفاية) وعقدة التفوق (وتشير إلى تضخيم أهمية الذات بغية تغطية مشاعر النقص).

التفوق هو الغاية النهائية التي تدفع بالفرد لبذل الجهد والاستمرار فيه حتى يتحقق في إطاره الاجتماعي.

ويعتقد آدلر أن الاهتمام الاجتماعي فطري، فالإنسان اجتماعي بطبيعته، لذا فإنه يدخل في شبكة من العلاقات الاجتماعية المتبادلة التي تسهم في تشكيل شخصيته وتساعده على التعويض الحقيقي الذي يمكن المجتمع من بلوغ هدفه وهو المجتمع الكامل، وبذل يتخد الكفاح من أجل التفوق طابعاً اجتماعياً. وبالتالي التعويض من أجل المجتمع يعوض المرء عن مشاعر النقص لديه.

3- الاتجاه الثقافي الاجتماعي عند هورني:

تعترض هورني (Horney) على بعض أفكار فرويد التحليلية، وتعدّها مجرد فرضيات تحتاج إلى دعم بالبيانات قبل قبولها كحقائق. وترى أهمية التأثيرات الثقافية الاجتماعية في تطور الشخصية؛ فالنهاية إلى الأمان (Need for Security) وليس إلى الجنس أو العداون، هي الدافع الرئيس للوجود الإنساني، فالشخص الذي أشبع حاجته إلى الأمان يكون قادراً على تطوير قدراته إلى أقصى حد ممكن. أما الشخص القلق الذي ينعدم لديه الشعور بالأمان فقد يصبح عدوانياً لينتقم لنفسه ممن نبذوه أو أساءوا معاملته، وقد يكون لنفسه صورة غير واقعية للتعويض مشاعر النقص لديه، وقد يفرق في الإشفاق على نفسه ليكسب تعاطف الآخرين ... إلخ.

النهاية للأمن هي الدافع الرئيسي للوجود الإنساني.

وترى هورني أننا نطور الاستراتيجيات التالية خلال جهودنا لمواجهة القلق:

- (1) التوجه نحو الآخرين (Move toward) بحثاً عن الحب والدعم.
- (2) التوجه بعيداً (Move away) عن الآخرين لتحقيق الاستقلالية
- (3) التوجه ضد الآخرين (Move against) لتحقيق القوة والمنافسة والسيطرة.

كما ترى أن الشخص الذي يشعر بالأمن يستخدم الاستراتيجيات الثلاث على نحو معتدل ومتوازن، فيما يستخدم الشخص الذي لا يشعر بالأمن واحداً من هذه الاستراتيجيات أو أكثر، على نحو مبالغ فيه، فيصبح معتمدًا على الآخرين أو مستقلًا عنهم أو عدوانيًا عليهم بصورة مبالغ فيها. وباختصار، ترى هورني أن الشخصية، ليست ببساطة، مسألة بيولوجية، فالخبرات الاجتماعية والثقافية تسهم في تشكيل الشخصية أيضاً.

تفكيير ناقد (1)

- ناقش أبرز القضايا الخلافية بين فرويد والفرو狄ين المتجددين.
- حدد الأفكار السيكودينامية التي يمكن تطبيقها وتلك التي لا يمكن تطبيقها في المجتمع العربي الإسلامي.

3- المنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي: Behavioral and Social Cognitive Perspective

يؤكد المنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي أهمية الخبرات البيئية في فهم الشخصية الإنسانية، وضمن الإطار الواسع لهذا المنحى، يركز السلوكيون على السلوك الملاحظ للفرد، فيما يركز المنظرون المعرفيون الاجتماعيون على العمليات المعرفية وضبط الذات، إضافة إلى السلوك الملاحظ.

أ. سلوكية سكنا

سرى سكنا (Skinner) أن الشخصية هي السلوك الظاهري الملاحظ للمرء، الذي تحدده البيئة الخارجية، وعليه، فإننا لسنا بحاجة إلى فهم العمليات العقلية والمعرفية الداخلية لتفسير السلوك (أي الشخصية)، ويجادل سكنا بأننا لا نستطيع ملاحظة الشخصية بصورة مباشرة، وأن كل ما نستطيع ملاحظته هو سلوكيات البشر، فمثلاً، يمكن أن تكشف ملاحظاتنا لسلوك سناء محافظتها وتوجهها نحو التفوق الدراسي، واهتمامها بالآخرين. وعليه، فإن سلوكياتها هذه تكون شخصيتها. وعلاوة على ذلك، يرى سكنا أن عمليات الثواب والعقاب في البيئة هي التي شكلت شخصيتها لتصبح محافظة متوجدة نحو التفوق الدراسي ومحتملة بالآخرين. ففي ضوء التفاعل مع أفراد العائلة ومع زميلاتها ومعلماتها في المدرسة ومع الآخرين، تعلمت سناء أن تتصرف على النحو الذي تمت ملاحظته.

الشخصية هي السلوك الظاهري المتعلم للفرد.

ويؤكد سكنا أن سلوكياتنا قابلة للتغيير والتعديل، إذا واجهنا خبرات جديدة. وعليه، فإن محافظة سناء وتوجهها نحو التفوق الدراسي ومحتملة بالآخرين قد لا تكون سلوكيات دائمة لها؛ فقد تظهر سلوكًا متحررًا أو أن تكون غير مدفوعة للتفوق في العلوم، أو قد تؤدي أحياناً أختها الصغرى. فثبات السلوك مرهون بثبات الخبرات البيئية، فإن تم تعزيز سلوك المحافظة وسلوك التوجه نحو التفوق الدراسي وسلوك الاهتمام بالآخرين، لدى سناء، بصورة متسقة، فإن نمط سلوكيها سيكون متسقاً كذلك.

ولما كان السلوكيون، عموماً، يؤمنون بأن الشخصية متعلمة، وأنها تتغير بتغير الخبرات والمواصفات البيئية، فإن

إعادة تنظيم (ترتيب) الخبرات والمواقف البيئية، يؤدي إلى تعديل في شخصية المرء. وعليه، يمكن تعديل السلوك الانطوائي ليصبح سلوكاً انسانياً، كما يمكن تعديل السلوك العدواني ليصبح سلوكاً وادعاً.

بـ النظرية المعرفية الاجتماعية عند باندورا

يؤيد بعض علماء النفس ما ذهب إليه سكнер من حيث أن الشخصية متعلمة، وأنها تتأثر كثيراً بالخبرات البيئية، ولكنهم يعتقدون، في الوقت ذاته، أنه [أي سك너] ذهب بعيداً عندما [العوامل المعرفية هي التي تحدد ما نحن عليه من أشخاص].

صرح بأن خصائص المرء ليست ذات علاقة بفهم الشخصية. فباندورا (Bandura) مثلاً، منظر معرفي اجتماعي، يرى أن السلوك والبيئة والعوامل المعرفية للشخص جميعها مهمة لفهم الشخصية، فالعوامل المعرفية هي التي تحدد ما نحن عليه كأشخاص.

يستخدم باندورا مفهوم "الاحتمالية التبادلية" لوصف الطريقة التي يتفاعل بها السلوك والبيئة والشخص (العوامل المعرفية) لتكوين الشخصية. فالبيئة تحدد سلوك الشخص، كما يعمل الشخص على تغيير البيئة، كذلك فإن العوامل المعرفية للشخص يمكن أن تؤثر في السلوك وأن تتأثر به، ويرى باندورا أننا نتعلم باللحظة وأنا من خلال التعلم باللحظة نكون أفكارنا حول سلوكيات الآخرين، ومن المحتمل أن نبني هذه السلوكيات لأنفسنا، فعلى سبيل المثال قد يلاحظ الطبي ثورة غضب والده نحو أمه، فيظهر ثورة غضب مماثلة على أخيه الصغرى مقلداً بذلك سلوك والده، إننا نتعلم الكثير من السلوكيات والأفكار والمشاعر والمهارات الحركية التي تشكل جزءاً هاماً من شخصياتنا، عن طريق الملاحظة.

وبخلاف سلوكية سكнер، تؤكد النظرية المعرفية الاجتماعية قدرتنا على تنظيم سلوكياتنا وضبطها، على الرغم من البيئة المتغيرة التي نعيش فيها، وللوضيح ذلك، افرض أن زميلك يحاول إقناعك بالانضمام إلى حزب سياسي ما. لا شك أنك ستفكر في الأمر آخذًا بعين الاعتبار معتقداتك واهتماماتك وأهداف الحزب ... إلخ. وفي ضوء ذلك قد تقرر في النهاية عدم الانضمام إليه. وهكذا فإن معرفتك أنت (أي فكرك) هي التي قادتك إلى ضبط سلوكيك ومقاومة تأثير البيئة في هذا الأمر.

تفكيير ناقد (2)

- لخص أوجه التشابه والاختلاف بين نظرية سكнер وباندورا للشخصية الإنسانية.
- قيم المنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي.

4- المنحى الإنساني Humanistic Perspective

يؤكد علماء النفس الإنسانيون خيرية الإنسان، وتفاؤله وفضائله، وحريته في اختيار النظرة التفاؤلية للإنسان مصيره، وقدرته على النمو، فهم يؤمنون بأن الإنسان قادر على مواجهة الضغوط الحياتية وعلى ضبط شؤون حياته وتحقيق رغباته، كما أنه قادر على فهم ذاته وفهم الآخرين، ولعل من أبرز منظري المنحى الإنساني إبراهام ماسلو وكارل روجرز.

A. نظرية ماسلو

يعد ماسلو (Maslow) واحداً من أبرز الشخصيات المؤثرة في تاريخ الحركة الإنسانية في علم النفس، وقد سمي المعندي الإنساني بالقوة الثالثة في علم النفس (تذكر أن القوة الأولى في علم النفس هي قوة التحليل النفسي وأن القوة الثانية هي قوة السلوكية) فهو البديل الحاسم للقوتين الأولى والثانية في علم النفس.

يرى ماسلو أن الإنسان مدفوع لإشباع حاجاته الفطرية، ولو جزئياً، لتحقيق إمكاناته الكامنة، وهذه الحاجات مرتبة هرمياً على النحو التالي: الحاجات الفسيولوجية، وال الحاجة إلى الأمان، وال الحاجة إلى الانتماء والحب، وال الحاجة إلى الاحترام والتقدير، وال الحاجة إلى المعرفة والفهم، وال الحاجات الجمالية، فال الحاجة إلى تحقيق الذات، وكما تعلم، يرى ماسلو أن تحقيق الذات يمثل أعلى حاجة إنسانية، فهي تقع في قمة هرم الحاجات، ويقصد بتحقيق الذات قدرة الفرد على استغلال طاقاته وقدراته [إنسان إلى أقصى حد ممكن، بحيث يصل إلى ما يمكن أن يصل إليه]. وقد كشف ماسلو خصائص أولئك الذين حققوا ذاتهم، فتبين أنهم: يقاومون الخضوع الاجتماعي، يتوحدون بالبشرية، واقعيون، يتقبلون الذات والآخر كما هو، مبدعون، تلقائيون (عفويون)، يتمركزون حول المشكلة (لا على صاحبها)، يقيمون علاقات اجتماعية مع البشرية جموعاً مع وجود الحاجة إلى الشخصية (وقلة عدد الأصدقاء المقربين جداً)، مستقلون، ديمقراطيون، لا يخلطون بين الوسائل والغايات، ويمررون بخبرات (سرحات) روحية أو غيبية دون أن تكون ذات طابع ديني بالضرورة.

وعلى الرغم من اعتقاد ماسلو بصعوبة تحقيق الذات والوصول إلى قمة هرم الحاجات، إلا أن عدداً من الشخصيات حققوا ذاتهم، لعل أبرزهم: آينشتاين (عالم الفيزياء)، روزفلت (دبلوماسي)، إمرسون (كاتب)، ولIAM جيمس (عالم نفس)، جيفرسون (سياسي)، ولنقولن (سياسي).

B. نظرية روجرز

يعتقد روجرز Rogers أن معظمنا يعاني من صعوبات ملحوظة في تقبل مشاعرهم الفطرية الخيرة، خلال مسيرة نمونا، يعلمنا أشخاص ذوو تأثير حاسم في حياتنا، الابتعاد عن فطرتنا الخيرة ومشاعرنا الإيجابية، فكتيراً ما نسمع آباءنا أو أشقاءنا أو معلمينا أو حتى زملاءنا يقولون لنا عبارات من مثل: "لا تفعل هذا" أو "لم تفعل هذا على الوجه المطلوب" أو "كيف تكون غبياً هكذا؟" وعندما لا نؤدي السلوك بالصورة المرغوبة، فكتيراً ما يتم عقابنا، وكثيراً ما يهددنـا الوالدان بألوان من العقاب إذا لم نخضع إلى معاييرهم. فماذا تكون النتيجة؟ إنها انخفاض احترام الذات لدينا.

وتستمر هذه المعوقات والتغذية الراجعة السلبية في التأثير على حياتنا، ونتيجة لذلك فإننا نجد أنفسنا أمام طريقين فإما أن نخضع لمتطلبات الآخرين ورغباتهم، وإما أن نكتنف علاقتنا معهم غيوم من الصراع. فإن وقع الاختيار على الطريق الأول، فإننا خلال مسيرة كفاحنا، سنتصرف وفق معايير المجتمع ومتطلباته، وبذا نشوّه ونقلل من قيمة الذات الحقيقة لنا. وقد نفقد (كلياً) الشعور بالذات، عندما نجد أنفسنا بمثابة مرآة لما يريدونـا.

الذات: هي الجزء المتمايز من المجال الظاهري الذي يتكون من نمط الإدراكات والقيم الشعورية المرتبطة بهذه الإدراكات.

ويرى روجرز أن الذات (Self) تظهر من خلال خبرات الفرد مع العالم، ويقصد بها (أي الذات) الجزء المتمايز من المجال الظاهري والذي يتكون من نمط الإدراكات (كم أنا قادر على إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين، كما

أنا مقنع ومؤثر، كم أنا جذاب...) والقيم الشعورية المرتبطة بهذه الإدراكات (جيد/ سيئ، أستحق/ لا أستحق...) بالنسبة للضمير "أنا" (I) وضمير المتكلم (Me). ولا يعتقد روجرز بأن جميع أبعاد الذات شعورية، غير أنه يرى أنها قابلة لأنها تكون جميعها شعورية.

ويميز روجرز بين الذات الحقيقية (وهي الذات الناتجة عن الخبرة والتي تعكس حقيقة الفرد). والذات المثالية (وهي الذات التي يرغب الفرد أن يكون عليها). وكلما اتسعت الهوة بين الذات الحقيقية والذات المثالية زاد سوء التوافق، الأمر الذي يسلّزم استعادة التوافق النفسي، ويمكننا أن نحقق ذلك من خلال تطوير إدراكات أكثر إيجابية عن الذات الحقيقية لنا، وزيادة خبراتنا الإيجابية في العالم، دون أن نقلق بشأن ما يريد الآخرون أن تكون عليه، هذا ويقترح روجرز ثلاثة طرق لمساعدة الفرد على تطوير مفهوم ذات إيجابي هي:

- (1) الاعتبار الإيجابي غير المشروط للفرد من الآخرين: أي قبول الفرد كما هو واحترامه ومحبته بصرف النظر عن سلوكه الذي قد لا يكون مقبولاً للآخرين، الأمر الذي يسهم في رفع مستوى تقدير الفرد لذاته.
- (2) التعمق العاطفي من خلال الاستماع الجيد للفرد وتفهم مشاعره الحقيقية.
- (3) الأصلة والبعد عن التكلف والانفتاح بكل المشاعر، رامين وراءنا الخبرات السابقة والمظاهر الكاذبة.

للفرد ذات حقيقة تعكس حقيقته، ذات مثالية يرغب أن يكون عليها.

نشاط (3)

- لماذا يعد المنحى الإنساني بدلاً حاسماً للقوتين الأولى والثانية في علم النفس؟

- ما أوجه التشابه بين المنحى الإنساني والمنحى المعرفي الاجتماعي؟

- ما الفرق بين تحقيق الذات عند ماسلو وروجرز؟

5- منحى السمات Trait Perspective

تعود جذور هذا المنحى إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فقد رأى الفيلسوف الإغريقي أبو قرات (Hippocrates) (المعروف بأبي الطب) أن الجسم يحتوي على سوائل أو أخلاط أربعة هي: الصفراء والسوداء والدم والبلغم، وأن الشخصية الإنسانية تعتمد على السائل الذي يكون له السيادة عند الشخص. وعليه، فإن هناك أربعة أنواع للشخصية هي: الشخصية الصفراوية والشخصية السوداوية والشخصية الدموية والشخصية البلغمية، ويذكر الجاحظ في كتابه "الناتج في أخلاق الملوك" هذه الأمزجة (السمات) وما يرتبط بها من سمات. فالمرأجع الصدري يرتبط بكثرة الحركة وسرعة القلق، ويرتبط المرأجع البلغمي بالنوم والكسل والثاؤب.

أما المرأجع الدموي فيرتبط بالنشاط والمرح والانطلاق، فيما يرتبط المرأجع السوداوي بالحزن والاكتئاب، والآن فكر كيف يمكن أن تصف نفسك وتتصف صديفك. هل أنت اجتماعي ومتتحرر، أما صديفك فهو دائم وخطير؟ هل أنت متزن انسانياً، غير أن صديفك لا يتمتع بالتزان الانفعالي؟ وكما تعلم فإننا على الدوام نستخدم سمات الشخصية عند وصف أنفسنا والآخرين.

وتحت منحى السمات، سنتحدث عن كل من: نظريات السمة، والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية، والتفاعل بين

A. نظرية السمة Trait Theories

السمة عبارة عن خاصية مستقرة، دائمة نسبياً للشخصية، تعيل بها إلى أداء سلوكيات معينة في المواقف المتعددة (Santrock, 2003)، أو هي أبعاد محددة تختلف موقع شخصيات الأفراد عليها بصورة متسبة وثابتة نسبياً (Baron & Kalsher, 1998). وت تكون الشخصية من عدد من السمات المستقرة التي تكشف ميل الفرد إلى الاستجابة بطرق متسبة في المواقف المختلفة (Kosslyn & Rosenberg, 2004). وعلى الرغم من أن منظري السمات يختلفون حول السمات التي تكون الشخصية، إلا أنهم يتتفقون حول كونها (أي السمات) تمثل اللبنات الأساسية لبناء الشخصية، ولعل من أبرز منظري السمة كاتل وأيزنك. يرى ريموند كاتل (Cattel) أن السمة هي "بنيان عقلي"، يتم استنتاجه من خلال السلوك الملاحظ، ويفسر اتساق السلوك في المواقف المختلفة (Hall, Lindzey, 1978). وباستخدام التحليل العاملين توصل إلى وجود 16 عامل (Factor) أو سمة مصدриة (وهي السمات المركزية التي تمثل المتغيرات الكامنة التي يعتقد أنها تفسر معظم السمات الظاهرة الهامة للشخصية) لوصف الشخصية والتنبؤ بالسلوكيات المستقبلية، والعوامل هي: التحرر ☐ المحافظة، الدهاء ☐ السذاجة، الاتزان الانفعالية ☐ التأثر بالمشاعر، السيطرة ☐ الخضوع، عدم الجدية ☐ الجدية، قوة الضمير ☐ ضعف الضمير، المخاطرة ☐ الجبن، الحساسية الانفعالية ☐ التبلد الانفعالي، التوتر ☐ الاسترخاء، الشك ☐ الثقة، التخيل ☐ الاهتمام العملي، الخوف ☐ تأكيد الذات، التجريب ☐ الحذر، الاكتفاء الذاتي ☐ الاعتماد على الجماعة، الضبط ☐ عدم الضبط، الذكاء المرتفع ☐ الذكاء المنخفض (Kosslyn & Rosenberg, 2004).

السمات هي اللبنات الأساسية لبناء الشخصية.

أما هانز إيزنك (Eysenck) فقد توصل، من خلال تطبيق اختبارات الشخصية على عدد كبير من الأفراد وتحليل نتائجهم، إلى وجود ثلات سمات رئيسية (أو كما أسموها أبعاد الشخصية) حاسمة في وصف الشخصية هي التالية:

1. الانطوائية ☐ الانبساطية Introversion ☐ Extroversion فالشخص الانطوائي هو شخص هادئ وغير اجتماعي وسلبي وحذر، في حين أن الشخص الانبساطي شخص نشيط واجتماعي ومتتحر.
 2. الاتزان ☐ عدم الاتزان Unstable ☐ Stable (ويعرف أيضاً ببعد العصبية): فالشخص المتزن هو شخص مطمئن وهادئ المزاج وقد قادر على القيادة وطال من الهم. أما الشخص غير المتزن فهو شخص مزاجي وقلق لا يهدأ وسرريع الغضب.
 3. الذهانية Psychoticism يعكس هذا البعد درجة اتصال الفرد بالواقع وضبطه لدوافعه الفريزية واهتمامه بالآخرين. ويصف شخصية الأفراد ذوي الاضطرابات النفسية: كانفصال الشخصية والإجرام والاعتماد على المخدر وعدم احترام المعايير الاجتماعية.
- هذا ويعتقد إيزنك أن اتحاد الأبعاد المختلفة للشخصية يؤدي إلى سمات شخصية معينة، فالشخص الذي يكون انبساطياً وغير متزن يتوقع أن يكون مندفعاً.

أسفرت نتائج البحوث الحديثة التي استخدمت التحليل العاملي عن وجود خمسة عوامل عليا، ثابتة نسبياً خلال مراحل الحياة وخلال الثقافات المتعددة، تصف الأبعاد الرئيسية للشخصية، يقع كل عامل (سمة عليا) منها على متصل بحيث يقع اسم العامل على أحد طرفي المتصل، وتسمى هذه العوامل العليا أحياناً "بنموذج العوامل الخمسة" أو "الخمس الكبرى" (Myers, 2004; Baron & Kalsher, 1948; Santrock, 2003) كما يتضح في الجدول التالي:

جدول العوامل الخمسة الكبرى وسماتها
(المصدر: Kosslyn & Rosenberg, 2004)

السمات	العوامل العليا
الدفع، الاجتماعية، البحث عن المتعة، العواطف الإيجابية	الانبساطية (Extroversion) وتسمى أيضاً الاجتماعية
القلق، العدوان، الاكتئاب، الاندفاعية، الحساسية للنقد	العصابية (Neuroticism) وتسمى أيضاً الانفعالية
الثقة، الخضوع، الحشمة، الإيثار، الاستقامة	المقبولية (Agreeableness)
التنافس، النظام، الكفاح من أجل التفوق، القصدية، انبساط الذات، الشعور بالواجب	الضميرية (الإنجاز) وفقاً لما يعمليه (Conscientiousness) الضمير ويسمى أيضاً الاعتمادية
المغامرة، الرياضة، المشاعر، الأفعال، الأفكار، القيم، الاستقلالية	الانفتاح على الخبرة (Openness to Experience)

وفي ضوء مقاييس الشخصية التي يستخدمها الباحثون، فإن عدداً من السمات الفرعية (المنفردة) المختلفة يمكن أن تشكل في مجموعها عاملًا من العوامل الخمسة العليا، وعليه، يتوقع أن لا يتفق الباحثون تماماً حول أسماء تلك العوامل. هذا ومن الجدير بالذكر أن أسماء العوامل الخمسة الكبرى الواردة في الجدول رقم (1) هي الأسماء الأكثر شيوعاً لدى الباحثين.

ويحدد الباحثين في العوامل الخمسة الكبرى مدى ظهور العوامل في بروفيل (الصفحة) الشخصية في الثقافات المختلفة، ومدى استقرار هذه العوامل خلال الزمن، كما يحدد القدرة التنبؤية لهذه العوامل بالصحة العقلية والجسمية، وكلما أثبتت البحث أن هذه العوامل أكثر عالمية واستقراراً وقدرة تنبؤية، كلما كلنا أكثر ثقة بأنها تصف بالفعل السمات الرئيسية الهامة للشخصية.

ج. التفاعل بين السمة والموقف:

يعتقد معظم علماء النفس أن فهم الشخصية يقتضي الأخذ بالحسبان كلاً من السمة (الشخص) والموقف، وأن اتساق الشخصية يعتمد على الأشخاص والمواقف والسلوكيات المختارة ... ولتوسيع ذلك، افرض أنك تريد

تقدير سعادة ساجدة (منطقية) وعلياء (منبسطة)، بحسب نظرية التفاعل بين السمة وال موقف، فإننا لن نتمكن من التنبؤ بمن ستكون أكثر سعادة من الأخرى ما لم نعرف شيئاً عن الموقف الذي هما فيه، تخيل أنه تقوم بعالحة سلوكها في موقفين (في المكتبة وفي حفل زواج صديقتهن). هل تعتقد أن ساجدة، أم علياء، ستشعر بارتياح أكبر في حفل الزواج؟ ومن منهن ستكون أكثر ارتياحاً في المكتبة؟ الاحتمال الأكبر أن تكون علياء (المنبسطة) أكثر استمتاعاً أثناء وجودها في الحفل، غير أن ساجدة (المنطقية) ستكون أكثر استمتاعاً خلال وجودها في المكتبة.

إن فهم الشخصية يعتمد على تفاعل كل من السمة والموقف.

وقد كشفت نتائج الدراسات الحديثة على التفاعل بين السمة والموقف (Santrock, 2003) النتائج التالية:

- (1) كلما كانت السمة أكثر تحديداً كلما زاد احتمال التنبؤ بالسلوك.
- (2) يظهر بعض الأفراد اتساقاً على السمات، فيما يظهر آخرون اتساقاً على سمات أخرى.
- (3) يكون لسمات الشخصية تأثير أكبر على سلوك الفرد عندما يكون تأثير الموقف أقل فاعلية.

نشاط (4)

- حدد مفهوم السمة من وجهة نظر كل من كاتل وإيزنك.
- ما العوامل الخمسة الكبرى للشخصية وما هي السمات التي ترتبط بكل عامل منها؟
- ما تعليقك على القدرة التنبؤية للسمات بالسلوك الإنساني؟

تفكير ناقد (3)

ما تصورتك حول نظرية الشخصية؟
كيف يمكن بناء شخصية وسطية في مجتمع متغير؟

ثالثاً: قياس الشخصية **Personality Assessment**

طور علماء النفس طرقاً متعددة لقياس الخصائص الدائمة نسبياً في الشخصية، والمحررة من تأثيرات الموقف، ومن أبرز مقاييس الشخصية الاختبارات الإسقاطية وقوائم التقدير الذاتي والمقاييس السلوكية والمعرفية.

1- الاختبارات الإسقاطية **Projective Tests**

تعرف الاختبارات الإسقاطية بأنها أدوات قياس (الشخصية) تتطلب من الفرد أن يستجيب إلى مثيرات غامضة (مبهمة وغير منتظمة) من خلال حكاية قصة حولها أو بوصف هذه المثيرات: أي بأن يسقط معانيه ومشاعره ورغباته واتجاهاته على المثيرات الغامضة.

وقد يستجيب الفرد، في بعض الاختبارات الإسقاطية بالرسم (مثال: رسم الرجل أو رسم العائلة ..) أو بتكاملة جمل ناقصة (مثال: أعتقد أن الآخرين) ومن هنا كان للاختبارات الإسقاطية جاذبية بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بالفكرة التحليلي النفسي ودوره في سبر أعماق الشخصية، ونظرًا لعدم وجود إجابة صحيحة وإجابة خاطئة، يعتقد مطورو الاختبارات الإسقاطية أن المستجيب لن يلجأ إلى الكذب عند الإجابة على الاختبار.

الاختبارات الإسقاطية بناءً على أفكار نظرية التحليل النفسي

ولعل من أبرز الاختبارات الإسقاطية وأكثرها شيوعاً: اختبار بقع الحبر لرورشاخ (Rorshach Inkblot Test) واختبار تفهوم الموضوع (Thematic Apperception Test: TAT).

أ. اختبار بقع الحبر

طور هيرمان روروشاخ في العشرينات من القرن العشرين اختبار بقع الحبر نتيجة تجارب طويلة. يتكون الاختبار من عشر بطاقات: خمس بطاقات منها باللونين الأبيض والأسود، أما الخمس الأخرى فملونة، يطلب من المستجيب أن ينظر إلى كل صورة منها على حدة كما في الشكل رقم (3)، ثم يذكر ما يراه في كل منها (أي ماذا تشبه، وماذا تبدو له، أو ماذا يمكن أن تكون). وبعد الانتهاء من تسجيل الإجابات على البطاقات العشر، يعرض الفاحص ثانية كل بطاقة منها على حدة لغاية التتحقق من الاستجابات الأولية للمستجيب، وللحتحقق من مكانها ومحدداتها الشكلية (أي هل كان الشيء المدرك ساكناً أم متحركاً، ومدى تأثير اللون والظل والشكل في الاستجابة). وفي ضوء ذلك يتم التعرف على شخصية المستجيب، فقد يشير الاعتماد الشديد على اللون، في الاستجابة إلى السلوك الاندفاعي للمستجيب، فيما تشير ندرة الاعتماد على اللون، إن وجدت، إلى اكتئاب المستجيب، هذا ومن الجدير بالذكر أن الفاحص يلاحظ تعبيرات وجه المستجيب واتجاهاته، خلال تطبيق الاختبار.

ب- اختبار تفهوم الموضوع:

طور موراي (Morgan) ومورجان (Murray) في الثلاثينيات من القرن العشرين اختبار تفهوم الموضوع (المغزي) لقياس دافعية الإنجا، وللتنبؤ عن السلوكيات ذات العلاقة بالإنجاز. يتكون الاختبار من (20) بطاقة عليها صور أو رسومات غامضة، باللونين الأبيض والأسود، تصور في معظمها رجالاً ونساءً (وقد لا يكون الجنس واضحًا) في مواضع متعددة ، ويطلب من المستجيب أن يشرح ما يحدث في الصورة، وبماذا يفكر الأشخاص فيها، وبماذا يشعرون، وما هي الأحداث التي أدت إلى الموقف الموضح في الصورة، وما يتوقع حدوثه (النتيجة)، ومن المتوقع أن يتقمص المستجيب الشخصيات في الصورة، وأن يكشف ما بداخله من دوافع وصراعات وتهديدات ... إلخ.

هذا ويستخدم اختبار تفهوم الموضوع في المواقف العيادية (لغاية رسم خطة علاجية، إضافة إلى استخدامه لقياس خصائص دافعية معينة كالدافعية للإنجاز).

2- اختبارات التقدير الذاتي: Self Report Tests

وتسمى أحياناً الاختبارات الموضوعية، وتعد من أكثر مقاييس الشخصية شيوعاً، تضم هذه القوائم مجموعة من العبارات التي تصف سمات الشخصية (مثال: أشعر بالسعادة معظم الوقت)، وتسأل المستجيب بصورة مباشرة، ما إذا كانت العبارة تصف سمات شخصية أم لا، وذلك بالإجابة بنعم، لا أو صح / خطأ أو أافق / لا أافق.

قواعد التقدير الذاتي تكون من عبارات تصف سمات الشخصية وعلى المفحوص تقديم صدى وجود السمة لديه.

أ. اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه للشخصية:

يعد هذا الاختبار أكثر اختبارات التقدير الذاتي شيوعاً، وقد طوره هاثاوي وماكينلي (Hathaway & McKinley) عام (1943) في جامعة مينسوتا لغايات تقديم صورة متكاملة عن الجوانب المتعددة في شخصية المستجيب، يستخدم الاختبار لغايات تشخيص الاضطرابات النفسية كالاكتئاب وفصام الشخصية والهستيريا وتوهم المريض وغيرها. ويستخدم أيضاً لغايات كشف الكذب، كما يستخدم الاختبار في التنبؤ عن أفضل المرشحين للمهن وفي التوجيه المهني.

بدأ هاثاوي وماكينلي بعدد كبير بعده تطوير الصورة الأصلية للاختبار، تضم الصورة المطورة للاختبار (MMPI) (567) فقدرة تدرج تحت عشرة أبعاد إكلينيكية (عيادية صممت لقياس أعراض ترتبط بعدد من الاضطرابات النفسية الرئيسية وهي: توهم المرض، والاكتئاب، والهستيريا، والانحراف السيكوبائي، والذكورة ئ الأنوثة، وجنون التوهم (العظمة)، والوساوس والمخاوف المرضية، والفصام، والهوس الخفيف، والانطواء الاجتماعي. تتراوح مدة الاختبار بين 60 ئ 90 دقيقة، وهناك نموذج مختصر للاختبار يتكون من (370) فقرة فقط، هذا وقد تمت ترجمة الاختبار إلى (22) لغة، كما تم تهيئته ليناسب عدة ثقافات (Davis & Palladino, 2004).

وفيما يلي نموذج لفقرات من اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه (صالح، 1988):

كثيراً ما أشعر في بعض أجزاء جسمي بما يشبه القشعريرة أو التنميل أو التخدیر.
أشعر في معظم الأوقات بألم في رأسی.

عندي عادة عد الأشياء غير الهامة كل مرات الكهرباء في الطريق أو ما شابه ذلك.
غالباً ما أتوقف وأفكّر قبل أن أعمل حتى في الأمور التافهة.

لا أشعر بالخوف من الدخول بمفردي إلى غرفة بها أناس يتحدثون.
معظم الناس يكرهون في قرارات أنفسهم مساعدة الآخرين.

أعتقد أن هناك مؤامرة تدبر ضدي.
أعتقد أن هناك من يتعقبني.

وبعد أن يفرغ المستجيب من الإجابة عن فقرات الاختبار، تلخص إجابته على ورقة تسمى بروفيل (الصفحة النفسية)، ثم يقارن الفاحص درجات المستجيب بالدرجات المشتقة من العينة المعيارية، وفي ضوء ذلك يصف جوانب شخصية المستجيب.

3- المقاييس السلوكية والمعرفية: Behavioral and Cognitive Assessment

بخلاف الاختبارات الإسقاطية واختبارات التقدير الذاتي، فإن القياس السلوكي للشخصية يعتمد على الملاحظة المباشرة للسلوك. إذ لا يمكن قياس السلوك بمعزل عن البيئة، وقد انتقد القياس السلوكي المباشر للشخصية عن تعامل تعديل السلوك، ويقتضي إحداث تغيير (تعديل) على البيئة وتحديد ما إذا كان التغيير فاعلاً في

تقليل حدوث السلوك غير التكيفي لدى الفرد، من خلال الملاحظة المباشرة للسلوك. وفي حال عدم القدرة على الملاحظة المباشرة للسلوك، لسبب أو آخر، يمكن أن يطلب من الأفراد أن يقيسوا سلوکاتهم بأنفسهم، وفي هذه الحالة ينبغي حثهم على توضیح الدقة في تحديد المواقف التي أدت إلى السلوك وإلى نواتج السلوك (توابعه).

القياس السلوكي للشخصية يعتمد على الملاحظة المباشرة للسلوك.

وقد أسممت النظرية المعرفية الاجتماعية في انتشار استخدام القياس المعرفية للشخصية الذي يهدف إلى كشف الفروق الفردية في معالجة المعلومات من خلال المقابلة والاستبيانات. وتعتمد استراتيجية القياس المعرفي للشخصية على اكتشاف الأفكار التي تكمن وراء السلوك، أي كيف يفكر الفرد في مشكلاته، وما هي الأفكار التي تسبق السلوك غير التكيفي، وما هي الأفكار التي ترافق ظهور المشكلة وتلك التي تتبعها؟ بعدها يتم قياس العمليات المعرفية (التوقعات والتخطيط والذاكرة) من خلال مقابلة الفرد والطلب منه أن يجيب عن فقرات استبيان مصممة لهذه الغاية. وقد تتضمن المقابلة أسئلة تدور حول ما إذا كان المستجيب يبالغ في تقدير أخطائه (أي يضخمها) ويدين نفسه أكثر مما ينبغي، كما قد تتضمن أسئلة تدور حول الأفكار التي تتباهى بعد حدوث الموقف المزعج، وتلك التي تدور في خلده أثناء حدوث الموقف .(Santrock, 2003)

القياس المعرفي للشخصية يعتمد على المقابلة والاستبيانات بهدف اكتشاف الفروق الفردية في معالجة المعلومات.

ويعد مركز الضبط (Locus of Control) مفهوماً رئيساً في المنحى المعرفي الاجتماعي. وقد طورت جوليان روتل (Julian Rotter) عام 1966 مقياساً لمركز ضبط السلوك (ضبط داخلي / ضبط خارجي). يهدف المقياس إلى الكشف عن الطريقة التي تؤثر بها بعض الأحداث الهامة على الفرد. وت تكون كل فقرة من فقرات المقياس من عبارتين (عبارة منها تشير إلى مركز الضبط الداخلي والأخرى إلى مركز الضبط الخارجي)، ويطلب من المستجيب أن يقرأ العبارتين، وأن يختار منها العبارة التي يعتقد أنها تنطبق على حالته أكثر من الأخرى، وفيما يلي أمثلة على فقرات المقياس (محمود, 2001).

- 1- أ. يقع الأولاد في المشاكل لأن آباءهم يعاقبونهم كثيراً.
ب. مشكلة غالبية الأولاد في هذه الأيام تساهل آبائهم الزائد معهم.
 - 2- أ. مهما تبذل من جهد لكسب ود الآخرين فسيظل هناك أناس يكرهونك.
ب. الذين لا يستطيعون كسب ود الآخرين لا يعرفون كيفية التعامل معهم.
 - 3- أ. بمزيد من الجهد نستطيع القضاء على الفساد السياسي.
ب. من الصعب على الناس العاديين أن يكون لهم سيطرة كافية على الأعمال التي يقوم بها السياسيون وهم في مراكز الحكم.
 - 4- أ. لا أستطيع أحياناً أن أفهم كيف يتوصل المدرسوون للعلامات التي يعطونها للطلبة.
ب. هناك ارتباط مباشر بين ما أبذله من جهد في الدراسة والعلامات التي أحصل عليها.
- يعتقد الأفراد ذوو الضبط الداخلي بقدراتهم على ضبط الحوادث في حياتهم، فيما يعتقد الأفراد ذوو الضبط

الخارجي بأن حوادث الحياة (كالثواب والعقاب) ناتجة عن عوامل خارجة عن إرادتهم كالحظ والصدفة والقدر ... إلخ.

ويعken القول بأن الأفراد ذوي الضبط الداخلي يكونون أكثر إدراكاً من ذوي الضبط الخارجي، وأكثر استعداداً للتعلم مما حولهم، ويطررون أسئلة أكثر، كما يظهرون مهارات أعلى في حل المشكلات (Pervin & John, 2001).

تفكير ناقد (5)

- حدد الأسباب وراء استخدام علماء النفس لمقاييس الشخصية.
- أي من مقاييس الشخصية تعتقد أنها الأفضل والأكثر دقة في إعطائك صورة واضحة عن شخصيتك؟ برأ اختيارك.
- هل يمكن التوفيق بين المناصي الرئيسية لدراسة الشخصية وطرق قياسها؟ كيف ذلك؟

الخلاصة:

1- اختلف علماء نفس الشخصية حول مفهوم الشخصية، غير أن النظرة الحديثة تشير إلى أن الشخصية تعني النمط الدائم نسبياً للأفكار والمشاعر والسلوك، الذي يميز الفرد عن غيره، وتتسم الشخصية بالثبات النسبي، مما يسمح بتعديل السلوك من جهة وبالتالي من جهة أخرى.

2- وفي ضوء هذا الاختلاف حول مفهوم الشخصية، تعددت مناصي دراسة الشخصية. ينطلق المنحى الإسلامي من خلال النظرة إلى الطبيعة الإنسانية، فالإنسان مخلوق مكرم، ومولود على الفطرة القويمة، وقد أوقع الله في النفس طريقي التقوى والفحور ومنحها حرية الاختيار، وفي ضوء اختيارها تتحدد شخصية أصحابها (مؤمن / منافق / كافر) وتتسم بسمات تميزه عن غيره، وللنفس أحوال هي: النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة.

3- ويؤكد أصحاب المنحى السيكودينامي أهمية اللاشعور وخبرات الطفولة في تحديد السلوك، تحدث فرويد عن ثلاثة مكونات للشخصية هي: الهو والأنا والأنا العليا. وللحذر من القلق والصراع، تلجأ الأنما إلى عدد من ميكانيزمات الدفاع هي: الكبت والتبرير والإبدال والتسامي والإسقاط وتكوين رد الفعل المعاكس والإإنكار والنكر. وقد اقترح فرويد ثلاث مراحل حاسمة في تطور الشخصية هي: المرحلة الفمية والمرحلة الشرجية والمرحلة القضيبية، كما تم الحديث في هذا الفصل عن الفرويديين المتجددين وهم: يونج وآدلر وهورني. يرى يونج أن النفس تتكون من ثلاثة أبنية منفصلة ومتفاعلة هي: الأنما واللاشعور الشخصي وعقده واللاشعور الجماعي وأنماطه الأولية (الأنيما والأنيموس والقناع والظل). أما آدلر فأكاد أن الاهتمام الاجتماعي فطري، وأن الفرد يكافح من أجل التفوق والتعويض عن مشاعر النقص، كما تؤكد هورني أهمية التأثيرات الثقافية الاجتماعية في تطور الشخصية.

4- وتحت المنحى السلوكي والمعرفي الاجتماعي، تم الحديث عن سلوكيات سكناز وعن النظرية المعرفية الاجتماعية، يرى سكناز أن الشخصية هي السلوك الظاهري الملاحظ، الذي تحدده البيئة الخارجية، وأن عمليات الثواب والعقاب تشكل الشخصية، وهي أي الشخصية قابلة للتغيير من خلال إعادة تنظيم المواقف البيئية، كما يؤكد باندورا أن الشخصية متعلمة، غير أنه يرى أن التفاعل بين السلوك والبيئة والعوامل المعرفية

للشخص هو العامل الحاسم في تكوين الشخصية.

5- ويرى علماء النفس الإنسانيون أن الإنسان خير، حر في اختيار مصيره، قادر على مواجهة الضغوط الحياتية وفهم ذاته الآخرين. ويعد مسلسل الحاجة إلى تحقيق الذات مفهوماً مركزياً في نظرته، فيما يعد روجرز مفهوم الذات المفهوم المركزي في نظرته، ويقترح طرفاً لمساعدة الفرد على تطوير مفهوم إيجابي للذات.

6- وتحت منحى السمات، تم الحديث عن نظريات السمة، والعوامل الخمسة الكبرى، والتفاعل بين السمة والموقف، فباستخدام التحليل العاملی، توصل كاتل إلى وجود (16) عامل أو سمة مصدرية، فيما توصل إيزنک إلى ثلاثة أبعاد للشخصية هي: الانطباقية \oplus الانبساطية، والاتزان \ominus عدم الاتزان، والذهانية، وتكشف نتائج البحث الحديثة خمسة عوامل كبرى للشخصية هي: الإنبساطية، والعصبية، والمقبولية، والضميرية، والانفتاح على الخبرة، هذا ويرى معظم علماء النفس أن فهم الشخصية لا يتم إلا من خلال التفاعل بين السمة والموقف.

7- وقد طور علماء النفس طرقاً متعددة لقياس الشخصية، ومن أبرزها: الاختبارات الإسقاطية (اختبار بقع الخبر لرورشاخ واختبار تفهم الموضوع)، وقوائم التقدير الذاتي (اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه) والمقاييس السلوكية (من خلال الملاحظة المباشرة للسلوك) والمقاييس المعرفي (كمقياس مركز الضبط لروتر).

المراجع: محمد عودة الريماوي وآخرون، (كتاب: علم النفس العام)، من إصدار دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن ، عمان، الطبعة الثانية لعام 2006م / 1426هـ